

دور المناسبة في انسجام الخطاب القرآني

سورة النمل أنموذجا

أ. أمينة بن عيجة

جامعة المدينة

ملخص المقال:

يهدف هذا المقال إلى الكشف عن المناسبة في سورة النمل، إذ لها دور مهم في معرفة سياقها الذي نزلت فيه من جهة والكشف عن انسجامها من جهة أخرى، وقد اهتمت الدراسات العربية منذ القديم بالمناسبة واعتبروها علما قائما بذاته وألفوا فيها العديد من المؤلفات، وسيعرض المقال أهم المساهمات التي جعلت المناسبة حلقة بحث في لسانيات النص اليوم. كما سيركز على دورها في انسجام القرآن الكريم من خلال تحليله سورة النمل.

الكلمات المفتاحية: لسانيات النص، الانسجام، المناسبة، الخطاب، سورة النمل.

Cet article a pour objectif de mettre la lumière sur la convenance dans le verset coranique SOURAT ENNAMEL (LES FOURMIS), qui joue un rôle essentiel à permettre, d'une part, de savoir son contexte de descente, et de révéler sa cohérence d'une autre. Depuis longtemps, les études arabiques s'intéressaient à la convenance, en la considérant comme une discipline autonome et ils ont publié des ouvrages relatifs.

Cet article, présentera les plus importantes contributions qui ont fait de la convenance aujourd'hui un maillon incontournable de recherche dans les études de la linguistique textuelle et il focalise également sur son rôle dans la cohérence du saint coran au biais de son analyse de SOURAT AN-NAML (LES FOURMIS) .

مقدمة :

اهتمت الدراسات العربية بالكثير من المجالات أهمها مجال اللغة بكل جوانبها، لذا لم يغفل الباحثون العرب النظر إلى النص متجاوزين بذلك حدود النظر إلى الجملة، وخاصة اعتبارهم القرآن الكريم نصا واحدا وليس مجموعة من النصوص المتفرقة.

تشكّلت الملامح الأساسية لتحليل النص القرآني¹ في وقت مبكر، كما فرضت طبيعة عمل المفسرين عليهم إبراز كيفية ترابط أجزاء النص القرآني رغم ورودها في سياقات متباينة وفي إطار القرآن ككل.

وقد تجلّت مظاهر لسانيات النص في مجال التفسير أكثر من أي مجال آخر خاصة من خلال المناسبة التي لقيت اهتماما كبيرا من قبل المفسرين منهم : النيسابوري (ت 324هـ)، وكذا لقيت رفضا من قبل آخرين مثل : الشوكاني (ت 1250 هـ). ولكن يمكن القول إن صح التعبير إن البحث في انسجام النص القرآني يعتمد على علم المناسبة عند العرب. و« إذا كان البلاغيون قد أسهموا إسهاما واضحا في الكشف عن كثير من الأدوات والوسائل التي يتحقق بها اتساق النص وانسجامه فإن المفسرين قد كشفوا عما في كتاب الله عز وجل من اتساق وانسجام»². وسنعرض في ما يلي بعض الجهود العربية التي اهتمت بانسجام النص:

1- الزركشي:

اهتم الزركشي ببعض الظواهر النصية من أهمها ظاهرة المناسبة في كتابه البرهان في علوم القرآن، إذ يقول في شرحه لها : « واعلم أن المناسبة علم شريف، تبرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ... ولهذا قيل : المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول. وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتيمها، ومرجعها - والله اعلم- إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه. أو التلازم الخارجي، كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر ... وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال [الأكيد] البناء المحكم، المتلائم الأجزاء³».

ويمكن استخلاص النقاط التالية من قول الزركشي :

- تحقق القبول لدى المتلقين اتجاه النص إذا تحققت غاية المنتج من مقصده.
- وجود روابط معنوية تصل بين فواتح الآيات وخواتيمها، كعلاقة العام والخاص والسببية والتضاد والترادف.. وقد اهتم علماء النص المحدثين بهذه العلاقات.
- الترابط الدلالي بين أجزاء الكلام، ويظهر ذلك من خلال توظيف عوامل المناسبة.
- ويورد الزركشي قولاً للإمام الشافعي اعتمد عليه في تبين أهمية المناسبة وكذا أهمية ارتباط الكلام ببعضه ببعض سواء طال أم قصر : « المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر - قال - ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه⁴».
- مناسبة فواتح السور وعلاقتها ببعضها :
- تحدث الزركشي عن مناسبة فواتح السور مع بعضها، وهذا ما يؤكد نظرته الشمولية إلى القرآن الكريم واعتباره كلا موحداً، وقدم أمثلة عن هذا النوع من المناسبات والتي من بينها مناسبة فواتح كل من سورة الإسراء وسورة الكهف إذ يقول : « مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح، وسورة الكهف بالتحميد، لأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد، يقال: سبحان الله والحمد لله... وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض ! بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة⁵».

- مناسبة فاتحة السورة مع خاتمة السورة التي قبلها :

قدّم الزركشي العديد من الأمثلة حول هذا النوع من المناسبة منها⁶ مناسبة افتتاح سورة الحديد بالتسبيح في قول الله تعالى : «سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (الحديد: 01) مع اختتام السورة التي قبلها أي سورة الواقعة بالأمر بهذا التسبيح إذ يقول الله تعالى : «فسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» (الواقعة: 96).

وكذا الأمر في مناسبة خاتمة سورة الفيل⁷ «فجعلهم كعصف مأكول» الفيل: 05، وفاتحة سورة قريش «لإيلاف قريش» قريش: 01.

كما تحدث عن تفسير القرآن بعضه ببعض، وهذا من قبيل المناسبة والإجمال والتفصيل، وهذا يبين إدراكه لوحدة النص القرآني وتكامله؛ يقول موضحاً ذلك: «أحسن طريق التفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فقد فُصل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بُسط في آخر».⁸

2- السيوطي:

امتازت رؤية السيوطي⁹ إلى النص القرآني في مظهرين: المناسبة، وجوانب من علم البديع، وهذان المظهران يدلان على مدى اهتمامه بانسجام النص القرآني وإن كان لم يصرح بهذا المصطلح إلا أن ما أورده في كتبه مثل: تناسق الدرر في تناسب السور ومعتك الأقران في إعجاز القرآن لدليل على إدراكه لهذا المفهوم وأهميته في تحقيق الترابط الدلالي في القرآن الكريم. ويرى أشرف عبد البديع أن معالجة السيوطي للتماسك الدلالي في كتابه تناسق الدرر كان أعم مما عالجه في المعتك لأنه تميّز بالشكل التطبيقي أكثر منه في المعتك.

وفي ما يلي سيتم تقديم أبرز العلاقات التي بينها السيوطي في كتابه تناسق الدرر والتي ساهمت في الترابط الدلالي للسور القرآنية.

أ- الإجمال والتفصيل عند السيوطي :

يرى السيوطي أن هذه القاعدة تحكم ترتيب كل السور في القرآن الكريم، ومثال ذلك إجمال سورة الفاتحة والتفصيل الذي جاء بعدها في سورة البقرة، وقد قدم هذا المثال محمد خطابي في الجدول التالي¹⁰ :

السورة السابقة	الآيات المجملة	الآيات التي تفصلها	السورة اللاحقة
الفاتحة	- الحمد لله. - رب العالمين. - الرحمان الرحيم. - مالك يوم الدين. - إياك نعبد: مجمل شامل لجميع أنواع الشريعة الفروعية. - إياك نستعين: مجمل شامل لعلم الأخلاق. - إهدنا الصراط المستقيم.	- الآيات 186-286-152. - الآيات 21-22-29. - الآيات 52-54-126-163-286. - ما وقع فيها من ذكر يوم القيامة، الآية 284. - فصلت في البقرة: الطهارة، الحيض، الصلاة، الاستقبال، طهارة المكان. - ذكر منها الجَمّ الغفير من التوبة، الصبر، الشكر، الرضى، التقويض... - الآيات 142-213-2-136.	البقرة

من خلال هذا الجدول التوضيحي يتبين وعي السيوطي بأن النص القرآني «محكم البناء متلاحمه، وهو نص يعتمد في ذلك على زرع مجموعة من العناصر في سورة معينة ثم تقع تميمتها (أو تنمية بعضها) في سورة لاحقة، بل قد تكون سورة بأكملها تنمية لآية أو آيتين وردتا في سورة سابقة [...] دون أن تخلو السورة اللاحقة بدورها من عناصر تنمى في سورة أو سورة لاحقة».¹¹

قدم وجهاً آخر من الإجمال والتفصيل وجعله قاعدة لما استخرجه من أمثلة من القرآن الكريم، وهذا الوجه هو «شرح كل سورة لإجمال ما في السورة التي قبلها»¹² ، ومن الأمثلة التي أوردها ما يلي :

- قال الله تعالى في البقرة: «وَأَتَمُوا الْحَجَّ» البقرة: 196 ، ودلّ على وجوب الحج إجمالاً وفصلاً في قوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» آل عمران: 97 ثم زاد في بيان شرط الوجوب بقوله: «من استطاع إليه سبيلاً» آل عمران: 97.

وقد ذكر السيوطي هذا المثال ليوضح العلاقة بين سورة البقرة وسورة آل عمران إذ قال: « فهذه عدة مواضع وقعت في البقرة مجملة، وفي آل عمران تفصيلها... بين هذه السورة وسورة البقرة اتحاداً، وتلاحماً متأكداً، لما تقدم من أن البقرة بمنزلة إزالة الشبهة.¹³ »

ثم وسع دائرة هذا الترابط بين كل من سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران¹⁴ حيث ذكر أن الصراط المستقيم ذكر في أول سورة الفاتحة، ثم أشير إليه بلفظ آخر في أول البقرة بقول الله تعالى « ذلك الكتاب » البقرة: 02 ، ثم أشير إلى طريق السير إليه في سورة آل عمران بقوله تعالى « وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » آل عمران: 101.

ب- تناسب السور عند السيوطي :

لفتت خاصية التناسب بين السور الكثير من العلماء العرب، وخاصة منهم المفسرين كالسيوطي الذي اتبع في كتابه تناسق الدرر منهاجاً خاصاً يتمثل في كيفية توضيح ورود هذه الخاصية في سور القرآن الكريم، فشملت غالباً التناسب بين سورتين متواليتين كسورة الفاتحة والبقرة، وأحياناً تكون بين سورتين غير متواليتين كسورة البقرة والنساء .

لقد استقرأ السيوطي هذه الحالات كلها في السور القرآنية، ويوضح استقراءه في قوله : « القاعدة التي استقر بها القرآن : أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناج لإيجازه. وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طولها وقصيرها.¹⁵ »

اهتم السيوطي بالتناسب الذي يقوم بين سورتين، وقد استعمل مصطلح الاتحاد والتلازم للدلالة عليه، ويتمثل ذلك في ما يلي¹⁶ :

• مناسبة فاتحة السورة لخاتمة السورة التي تليها، ومثال ذلك افتتاح سورة البقرة بقول الله عز وجل : «الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) » البقرة: 01-02 أي ذكر المتقين ووصفهم بالفلاح، واختتام سورة آل عمران بقول الله تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» آل عمران: 200، ويعلق السيوطي على هذا بقوله : « إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد، فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الاتحاد... وافتتحت البقرة بقوله «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» البقرة: 04 وختمت آل عمران بقوله «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » آل عمران: 199.¹⁷ »

• ذكر الأصل في السورة (أ) مثلاً ثم ذكر الفرع في السورة (ب)، مثل ذكر خلق آدم في سورة البقرة وذكر خلق أولاده في السورة التي تليها في آل عمران.

• التلازم بين لفظتين كالجنة والنار، أي كذكر لفظ الجنة وما يدل عليها من ألفاظ أخرى في سورة، ثم ذكر النار وما يدل عليها في السورة التي تليها. يقول السيوطي: « ومن وجوه تلازم السورتين : أنه قال في البقرة في صفة النار «أعدت للكافرين» البقرة: 24، ولم يقل في الجنة : أعدت للمتقين، مع افتتاحها بذكر المتقين

والكافرين معا، وقال ذلك في آخر آل عمران في قوله «وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين» آل عمران: 133. فكانت السورتان بمنزلة سورة واحدة.¹⁸

ت- تشابه الأطراف :

يقول السيوطي : « وهذا من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من البديع يسمى تشابه الأطراف.¹⁹ ويقصد به اشتراك بداية السورة مع خاتمة ما قبلها في الموضوع، ومثال ذلك اختتام سورة آل عمران بالأمر بالتقوى، وافتتاح سورة النساء به²⁰، واختتام سورة الإسراء بالتحميد وافتتاح سورة الكهف بالتحميد أيضا²¹.

لقد كانت نظرة السيوطي للقرآن الكريم نظرة دقيقة حيث اهتم وأكد تأكيدا واضحا في كتابه تناسق الدرر على تلاحم السور مع بعضها ما خلق انسجاما بينها جعل القرآن نصا كاملا موحدا، ويظهر ذلك أيضا في الوصل بين السور ووجوه التناسب بينها.

يقول محمد العبد مظهرًا أهمية ما عرضه السيوطي : « توصل إلى كل مظاهر الاتصال الموضوعي والمضموني والمنطقي التي تجعل وضع إحدى السور بعد الأخرى أنسب من وضع غيرها موضعها.²² لقد اهتم المفسرون وعلماء القرآن بانسجام النص القرآني، وكان هدفهم من وراء ذلك هو فهم القرآن وإبراز وجوه إعجازه وهذا ما جعلهم يهتمون ببعض العلاقات الدلالية التي تساهم في انسجام النص نذكر من ذلك - ما اقتصر عليه البحث - الإجمال والتفصيل، والمناسبة، ورد العجز على الصدر وموضوع الخطاب، ودور المتلقي في تأويل النص...

جاءت سورة النمل مقسمة إلى عدة وحدات وهي تمثل جزءا من البناء الهندسي للقرآن الكريم، وهذا يعتبر من دلائل الانسجام فيها ؛ لأن تقسيم النص أو الخطاب إلى أجزاء ووحدات يدل على أنه مبني وفق نظام وترتيب مُحكمين. وقد أدرك المفسرون قديما وحديثا الحكمة من تقسيم القرآن الكريم إلى آيات وسور فربطوا ذلك ببنية النص القرآني ككل وكذلك ببنية السورة، كما ربطوه بدور المتلقي أيضا.

لقد كان تأويل المفسرين - باعتبارهم متلقين - لسورة النمل تقريبا يأخذ مسارا واحدا غير أن آراءهم حول تقسيمها اختلفت بعض الشيء ؛ وهذا الاختلاف ساعدنا كي نقسم السورة بشكل يبين ترابطها الذي حقق لها الانسجام الذي يظهر بدءا باسمها -النمل- حتى آخر آية فيها.

اهتمت سورة النمل بأمور العقيدة والتوحيد والإيمان بالوحي، وباليوم الآخر وبالغيب، وهو ما يمثل سياق كل سورة مكية. وتكاد تكون سورة النمل مع سورتي الشعراء والقصص سياقًا واحدا، إذ تسلك هذه الطاسينات منهجا واحدا في تقديم العظة وأخذ العبرة ممن سبق من الأمم هذا من جهة ولأنها سور مكية من جهة أخرى. وتعتبر سورة النمل كاللثمة لسورة الشعراء ؛ فقد أضاف الله ﷻ فيها قصة داود وسليمان وبسط فيها قصة لوط، ووقع فيها تفصيل لما ذكر مجملا في سورة الشعراء في قوله تعالى :«فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين» الشعراء: 21 ، وقد اشتملت كلتاها على ذكر القرآن وأنه من عند الله عز وجل إضافة إلى أن هذه القصص جاءت لتسليية الرسول محمد ﷺ وهذا ما يجعلهما في سياق واحد، ويستمر السياق نفسه في سورة القصص التي تلي سورة النمل ؛ إذ تختتم بوعده الله المؤكد بإظهار آياته والتي بدأها في سورة النمل

بقصة موسى عليه السلام بعد مقدمتها وهذا ما بدأت به سورة القصص بعد مقدمتها أيضا في قوله تعالى : «نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» القصص: 03.

تعتبر الأحرف المقطعة في الطاسينات عاملا أيضا يساهم في توحيد واستمرار السياق بينها.

3- علاقة فاتحة سورة النمل بخاتمها :

جاءت فاتحة سورة النمل منسجمة مع ما جاء في خاتمها ؛ فقد ذكر الله تعالى في فواتحها قوله « الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3) » وقال في خاتمها : « إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) » فذكر بعض أنواع العبادات التي أمر الرسول ﷺ بأدائها وهي إقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وقال في أول السورة « وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6) » وفي آخرها « إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَاِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (92) » فالذي يتلقاه في البداية يتلوه في النهاية إذ ذكر في أول السورة العبادة وذكرها في النهاية ثم ذكر القرآن في بدايتها ونهايتها وهذا ما جعل فواتح السور منسجمة مع خواتمها.

كما بدأت هذا السورة²³ بذكر الكتاب أي القرآن وأنه هدى وذلك في قوله : «طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) »، وختمت بذلك في قوله تعالى : « وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَاِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ (92) » .

علاقة سورة النمل بما قبلها وما بعدها :

تعتبر سورة الفاتحة جامعة لما جاء بعدها من سور القرآن الكريم ثم جاءت بعدها سورة البقرة لتفصل ما جاء في الفاتحة، ثم تابعت السور بعد البقرة لتفصل ما ورد فيها، وهذا ما جعل كل سورة ترتبط بما قبلها وما بعدها من السور، وهو ما جمع بين سور القرآن الكريم فكانت متماسكة ومترابطة الأجزاء لذا يعد القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته نصا منسجما واحدا وليس مجموعة من النصوص المتفرقة.

تعد سورة النمل بأكملها تفصيلا لمجمل حوته آية واحدة في سورة البقرة هي قوله تعالى : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين (252) ». وقد ذكر سعيد حوى أن سورة النمل « محورها آية واحدة من سورة البقرة هي قوله تعالى : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين »²⁴، وهذا يجعل سورة النمل جزءا من نسيج مترابط منسجم هو القرآن الكريم ككل.

ويمكن تقديم بعض النقاط التي تجعل سورة النمل تخلق ترابطا بينها وبين سورة البقرة من خلال آية المحور في ما يلي :

- بدأت سورة النمل بقوله تعالى : «طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) »، وكلمة آيات هي نفسها المذكورة في سورة البقرة في قوله تعالى : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين »، وقد أطلق سعيد حوى على هذه الآية اسم المحور* . وسورة النمل سردت قصص الأنبياء ومعجزاتهم التي أنعم الله بها عليهم، وهذه المعجزات هي تلك الآيات التي يتلوها القرآن الكريم على رسوله ﷺ.

- هناك صلة بين قوله تعالى : « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » وبين المحور في سورة البقرة في قوله تعالى : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين » من خلال العلاقة التي تظهر بين كلمتي "تلقى" و"نتلوها" أي بين التلقي والتلاوة.

من هنا نقول إن سورة النمل جاءت تفصيلاً لجزء من معنى كلمة آيات في الآية المحور والتي تحيلنا إلى ربط سورة النمل بسورة البقرة بواسطة علاقة الإجمال والتفصيل ؛ فقد جاءت كلمة آيات في سورة البقرة مجملة وجاء بعض تفصيلها في سورة النمل كما أشارت بدايتها في قوله تعالى : ﴿... تلك آيات القرآن...﴾ ونعني بذلك -على وجه الخصوص- كلمة "تلك" التي تشير إلى تفصيل ما ورد من معجزات وآيات في هذه السورة متمثلة في قصص الأنبياء التي وردت فيها وآيات الله سبحانه وتعالى في الكون وفي معاقبته للكافرين بهذه الآيات.

4- علاقة سورة النمل بما قبلها : نذكرها في ما يلي :

- ورود قصة موسى في الطاسينات ؛ فقد وردت في الشعراء مفصلة، وفي النمل مجملة وموجزة ووردت مفصلة في سورة القصص أيضاً.

- تظهر علاقة هذه السور الثلاثة ببعضها من خلال فواتحها ؛ فالشعراء كانت فاتحتها (طسم) و النمل (طس) والقصص (طسم) لذا سميت بالطاسينات.

- جاءت فواتح سورة النمل منسجمة مع ما جاء في خواتيم السورة التي قبلها « وإنه لتنزيل رب العالمين (192) نزل به الروح الأمين (193) على قلبك لتكون من المنذرين (194) بلسان عربي مبين (195) » ، كما جاءت خواتيم سورة الشعراء منسجمة مع فواتح النمل، و في آخر الشعراء ذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » ، وقد استثنى الله عز وجل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ثم هدد الذين ظلموا « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » وذكر في أول النمل المؤمنين الذين يُقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون (3) ، ووجه الانسجام هنا هو استثناء المؤمنين الذاكرين لله و أكمل وصفهم المقيمون للصلاة والمؤتون الزكاة في النمل و بشرهم، كما أن هناك إجمال في خاتمة الشعراء وهو العمل الصالح أما في فواتح النمل فقد فصل في هذا العمل الصالح (إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيقان باليوم الآخر). ثم هدد الله سبحانه وتعالى المشركين في الشعراء بقوله : « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » وفي النمل قوله : « أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ (5) » فكانهما آيتان متتاليتان مترابطتان. كذلك نجد تشابهاً بينهما في وصف القرآن ، حيث قال الله جلَّ في بداية الشعراء : «طسم (1) تلك آيات الكتاب المبين (2) لَعَلَّكَ بِأَخْبَارِ نَفْسِكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3)» ، وقال في النمل : «طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين (1) » ، وقال في أواخر الشعراء : « وإنه لتنزيل رب العالمين (192) نزل به الروح الأمين (193) » ، وقال في النمل « تلك آيات الكتاب المبين » فكان السورتين تصبان في بحر واحد وتتحدثان عن محور واحد ومقصد واحد، وهو بيان أن الكتاب هو من عند الله.

- تنطلق سورة النمل كسابقته من الإشارة إلى آيات القرآن الكريم « تلك آيات الكتاب المبين (2) » والمقصود منها « العلامات والحجج والمعجزات التي خصّ الله بها أنبياءه وقصّ أخبارها في هذه السورة [أي سورة النمل] »²⁵.

- أضافت سورة النمل في قصة صالح عناصر جديدة بالنسبة إلى ما ورد في هذه القصة في سورة الشعراء ؛ فقد بينت الشعراء حال من عقروا الناقة في قول الله تعالى : « فعقروها فأصبحوا نادمين (157) »، و في النمل بين الله عز وجل عددهم في قوله تعالى : « وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48) » تعتبر سورة النمل كاللتممة لسورة الشعراء ؛ فقد أضاف الله سبحانه وتعالى ذكر قصة داوود وسليمان، وبسط فيها سبحانه وتعالى قصة لوط أما بالنسبة لقصة موسى في الآية « إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7) » فقد جاءت تفصيلا لقوله تعالى : « فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ » في سورة الشعراء . وكل من السورتين اشتملت على ذكر القرآن وتسليية الرسول ﷺ عليه وسلم .

- تلتقي السورتان في بيان وحدة القصد من القصص القرآني، وهو تسليية الرسول ﷺ عما يتلقاه من أذى قومه وإعراضهم عنه، كما أن هناك تشابه في الموضوعات التي تناولتها مثل بيان أصول العقيدة، وهي التوحيد والنبوة والبعث.

1. علاقة سورة النمل بما بعدها : نذكرها في ما يلي :

- تلتقي سورة النمل مع سورة القصص في بيان أصول العقيدة مثلها مثل الشعراء . ويوجد ترابط وتكامل بين السورتين من خلال النظر في افتتاحية كل منهما إذ نجد ههما شبه متطابقتين في وصف القرآن، وفي الحروف المقطعة في كل منهما حيث افتتحت سورة النمل بقوله تعالى : « طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين (1) » وافتتحت القصص بقوله تعالى : « طسم (1) تلك آيات الكتاب المبين (2) ».

- جاء المقام في قصة موسى في سورة النمل متمثلا في خوف موسى عند إلقاءه العصا، وفي سورة القصص جاء متمثلا في الخوف الذي سيطر على موسى وخوف أمه عليه عند ولادته وإلقاءه في اليم، وهنا تظهر علاقة الإجمال والتفصيل ؛ فقد ذكر الخوف مجملا في سورة النمل ثم تليها سورة القصص التي جاء فيها الخوف مفصلا يبدأ من ولادته وخوف أمه عليه.

- وانسجمت أواخر النمل « وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (92) » مع فواتح القصص : « طسم (1) تلك آيات الكتاب المبين (2) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) »؛ فالقرآن في خاتمة النمل هو الكتاب المبين في فاتحة القصص كما أنهما تحدثتان معا عن تلاوة القرآن ، وذكر المهتدين والضالين في سورة النمل إجمالا وذكرهم تفصيلا في سورة القصص وهم موسى ومن آمن به وفرعون ومن اتبعه. وتحدثتان أيضا عن منة الله تعالى فوردت في النمل « وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (93) » وفي القصص « وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » وعموما جاءت سورة القصص مكملة لسورة النمل وهذا ظاهر في الانسجام بينها.

- يختلف سياق المقام بين سورة النمل وسورة القصص بالنسبة لقصة موسى عليه السلام رغم تشابههما لفظاً في بعض الآيات مثل قوله تعالى في النمل « وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) » ، ويقول تعالى في سورة القصص : « وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) »، لم تذكر لفظة "أقبل" في النمل لأن المقام فيها كان مقام إيجاز لا مقام تفصيل كما في القصص، وكذا شيوخ جو الخوف في القصص يدل على إيغال موسى في الهروب فدعاه إلى الإقبال وعدم الهروب، وقد جاء المقام في النمل تكريماً وتشريفاً يبينه قوله تعالى : « إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ »، ويظهر هذا التشريف جلياً من خلال لفظة "لدي" في حين قال في القصص : «إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31)»؛ لأن المقام مقام خوف. وفي الأخير يمكن استخلاص بعض النقاط من خلال دراستنا السابقة:

- كانت الجهود العربية في مجال النص واضحة ؛ فقد اعتبروا القرآن الكريم نصاً واحداً، وربطوا السور ببعضها بواسطة المناسبة، و رغم كل هذه الجهود إلا أنها لم تؤسس لتكون علماً قائماً بذاته.

- إن العلاقات التي تربط بين فاتحة سورة النمل وخاتمتها وبين فاتحتها وخاتمة سورة الشعراء وبين خاتمتها وفاتحة سورة القصص شكلت الترابط بين سور القرآن الكريم وقدمت لنا دليلاً على اعتباره نصاً موحداً، كما بينت دور المناسبة في انسجام وترابط الخطاب القرآني ككل.

الهوامش

¹ ينظر، أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط، 2008م، ص.17.

² خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط.01، 2009م، ص.39.

³ الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، تح.عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرف، بيروت-لبنان، ط.01، ج.01، 1990م، ص.131.

المصدر نفسه، ص.133.

المصدر نفسه، ص.135-136.

⁶ ينظر، المصدر نفسه، ص.135.

ينظر، المصدر نفسه، ص.272.

المصدر نفسه، ج.02، ص.315.

ينظر، أشرف عبد البديع عبد الكريم، مرجع سابق، ص.110.

¹⁰ محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط.01، 2006م، ص.199.

المرجع نفسه، ص.201-202.

¹² ينظر، السيوطي الحافظ جلال الدين، تناسق الدرر في تناسب السور، تح.عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط.01، 1986م، ص.72.

المصدر نفسه، ص.73.

- ينظر، المصدر نفسه، ص. 72. 14
- المصدر نفسه، ص. 65. 15
- ينظر، محمد خطابي، مرجع سابق، ص. 203. 16
- السيوطي الحافظ جلال الدين، مصدر سابق، ص. 74. 17
- المصدر نفسه، ص. 74. 18
- المصدر نفسه، ص. 76. 19
- 20 ينظر، المصدر نفسه، ص. 76.
- 21 ينظر، المصدر نفسه، ص. 99.
- 22 محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة-مصر، ط. 01، 2005م، ص. 165.
- 23 ينظر، السيوطي حافظ جلال الدين، مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع " بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها"، تح. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط. 01، 2005م، ص. 58.
- 24 سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، د. ط، د. ت، مج. 07، ص. 3978.
- * قصد به المحور الذي تدور حوله معاني السورة، والآية المحور ربطت سورة البقرة بسورة النمل وهو ما شكّل انسجاماً بينهما.
- 25 الجابري محمد عابد، فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، القسم الأول، ط. 04، 2012م، ص. 330.